ثورة شعب

فتاة من أطفال القمر تتحدى الظلام وتجتاز امتحان الباكالوريا

عزلتها معلّمة الفرنسية بستار أسود وحرمتها من النظر الى الصبّورة!!

رغم حرمانها من الشمس والخروج الى الحياة في وضح النهار، إلا انها حساسة جدّا ومليئة بالحياة والإيمان وتنطوي على أحلام كثيرة دفعتها الى تحدي مرضها المزمن والنادر بالموسيقى والرياضة وكتابة الشعر. مما جعلها النموذج الناجح جدا لطفل القمر المحكوم بالعيش في الظلام جرّاء "حساسية المفرطة للشمس وأشعتها وضوئها.

لمياء الحكيم لم تقف عند حدود الإعاقة والشعور بالنقص وحوّلت مرضها النادر الى مصدر قوّة وها هي قد اجتازت امتحان الباكالوريا هذه الايام في العلوم التجريبية وتنتظر النتيجة لدخول الجامعة ومواصلة رحلة التحدي.

معاناة نفسية عميقة

أذكرها جيّدا بالظفائر سنة 2003 عندما كانت تدرس بالمرحلة الابتدائية وقد التقيتها بمنزلهم الكائن بالمروج كنموذج حي لأطفال القمر، وهو مرض نادر يشكو صاحبه من حساسة مفرطة تجاه أشعة الشمس مما يستوجب العيش في الظلام لتجنب الاصابة بالسرطان.

وعند اللقاء الاول كانت اكبر من سنّها بكثير تنطوي على طاقة رهيبة من الصبر والايمان بالقضاء والقدر وقد مرت سنوات لتجلس لمياء على مقاعد الباكالوريا وتواصل تحديها بإصرار كبير لتدخل الجامعة وتؤكد للجميع ان الاعاقة في العقل والإيمان وأنه لا وجود لحواجز تمنعها من ملاحقة أحلامها الكبيرة رغم حرمانها من الاستمتاع بالحياة مثل الآخرين كلما بزغت الشمس.

بعد ثماني سنوات كبر الحلم رغم المعاناة والعراقيل ونظرة الآخر لها ككائن غريب لا يمكن ان تسعه الارض. وقررت السير على درب النجاح والتمسّك بالدراسة والخروج من ظلامية الجهل واليأس والإحباط، وهي بذلك طفلة القمر الوحيدة التي اجتازت هذه السنة الباكالوريا بعد تمكن طفلتا قمر خلال السنة المنقضية من النجاح في الامتحان ودخول الجامعة.

لم تخف لمياء إحساسها بالنقص وهي تحدثنا عن قائمة أصدقائها المحدودة وعن تقيّدها بالليل وعدم قدرتها على الخروج مثل الآخرين الى الشارع طوال اليوم وعن رغبتها في القضاء على نظرة الاستغراب والخوف في عيون المحيطين بها مما وسّع المسافات بينها وبينهم ودفع الكثير منهم الى التعامل معها بحذر كبير. لكن في نهاية الأمر تواجه نفسها بقوة وتسلّم بالقضاء والقدر وترى في الاصرار والتحدي المهرّب الوحيد من قسوة الآخرين، فهي تمارس رياضة الكاراتي وتعزف على العود وتكتب الشعر بالفرنسية وتطمح الى حياة ناجحة ومتألقة رغم الصعوبات النفسية الكثيرة اذ لا حلّ أمام قضاء الله وقدره غير التحمّل والتأقلم مع الوضع الذي يعيشه الشخص دون الدخول في متاهة الأسئلة الحائرة والمحيّرة.

هكذا حدّثتنا عندما عادت بذاكرتها الى السنة الثالثة ابتدائي، كانت صغيرة وضعيفة وقد عانت من معلّمة الفرنسية الكثير اذ بلغ الأمر بهذه الأخيرة بعزلها في القسم بستار أسود بحيث كانت تسمع الدروس شفويا ولا ترى ما يُكتب في الصبورة، لا لشيء الا لأن المعلّمة لم تقتنع ان في تونس أطفال قمر وأن هؤلاء لا يستطيعون الخروج الى الشارع خلال النهار الا عند الجلوس في أماكن محمية وخالية من الأشعة فوق البنفسجية، ورغم هذا الرفض النفسي المؤلم قالت لمياء بأنها لم تكره مادة الفرنسية بل اصرّت على تعلّمها حتى بالسماع والتألق فيها وها هي اليوم تكتب بهذه اللغة النصوص الشعرية.

كانت تلك هي المحطة المؤثرة جدّا في حياتها كانت طفلة يؤلمها الخوف من انتقال المرض في عيون الآخرين حتى كانت وحيدة ومعزولة رغم احاطة عائلتها بها وسعيهم الى أقلمة حياتهم على إيقاع حياتها مثل الخروج والتنزه والسباحة ليلا، في حين تلتزم العائلة المنزل مثلها في العطل والأعياد حتى لا تتعمق جراح الحرمان في داخلها.

تفاؤل رغم الإقصاء

ولم يكن ذلك الستار الأسود الذي عزلتها فيه معلمة الفرنسية قادرا على تحويل احلامها الى السوداء، بل كانت بفضل رعاية عائلتها وخاصة والدها السيد نعمان حكيم ووالدتها السيدة منية المجبل مشحونة بالتفاؤل والتميّز والنضج والرصانة حتى ان أفكارها تبدو أكبر بكثير من عمرها. ومنذ وطأت المعهد عند انتقالها من السادسة اساسي واجهت عقلية الرفض بشدة من طرف أغلب التلاميذ خاصة عند ارتدائها للباسها الواقي من أشعة الشمس وهو شبيه بلباس رواد الفضاء يمكنها من التنقل خارج المنزل والذهاب الى المدرسة دون ان تطالها أشعة الشمس والغريب انها لاقت الرفض ايضا من بعض الأساتذة اذ تحتاج دائما خلال مزاولتها للدراسة قاعة تدريس بعيدة عن الشمس مع غلق الباب والنوافذ ويبدو ان حصة تدريس في ساعات معدودات داخل الاقسام المظلمة كانت مرفوضة بشدة، فما بالنا بلمياء التي تعيش 19 سنة كاملة في ظلام مطلق وفي غرف مغلقة ونوافذ محمية بالاشرطة الواقية!!

ورغم ذلك لم تيأس ووجدت كل المرونة مع إدارة المعهد مما ساعدها على الدراسة بعد ذلك في قاعات ظليلة الى ان التحقت بالباكالوريا واجتازت هذه الايام الامتحانات بتفاؤل كبير بالنجاح.

وقد وفّرت لها إدارة المعهد قاعة مناسبة في الصف الاخير مجهزة باشرطة تقي بلور النوافذ من تسرّب أشعة الشمس فوق البنفسجية. وقد اختارتها بنفسها اذ ترى فيها المكان الملائم لاجتياز الاختبارات في ظروف مريحة وبناء على ذلك الطلب أعادت الإدارة جدولة الامتحانات وتوزيعها على بقية القاعات من باب التفاعل الايجابي مع لمياء الحكيم كحالة صحية خاصة تستوجب الكثير من الاجراءات الاستثنائية لبلوغ حقها في النجاح ودخول احدى الجامعات المختصة في الطب او القطاع الصحي بصفة عامة.

سبع سنوات في قسم واحد

وباتصالنا بالسيد عثمان خويلي القيّم العام بمعهد المروج قال بأن عاطفة خاصة تربط الإدارة بلمياء، وباعتبارها درس ما، وهو ما جعلها من المميّزين في الدراسة ومن المنتظر ان تجتاز الباكالوريا بامتياز هذه السنة.

ومن جهته قال والدها السيد نعمان الحكيم بأن مواصلة الدراسة والحصول على نتائج ممتازة خلال السنة الدراسية تكمن خلفه إرادة قوية لابنته، التي تمكنت من التغلب على عقدة النقص بممارسة هوايات عديدة مثل رياضة الكاراتي والعزف على العود والمحاولات الشعرية. وفي مرتبة ثانية يأتي دور المحيط العائلي اذ من شأنه ان يقوي الاطار النفسي والصحي المريح لتجاوز مثل هذه الاعاقة النادرة وغرس التفاؤل في طفل القمر ومساعدته على التأقلم مع الحياة المعزولة التي يعيشها غير ان لمياء استطاعت ان تكون نموذجا ناجحا بسبب امكانيات العائلة في توفير المراهم الجلدية مرتفعة الثمن والملابس الواقية وغيرها من المستلزمات في حين هناك حالات أخرى تشوّهت وتآكلت أطرافها الظاهرة نتيجة عدم القدرة ماديا على توفير مستلزمات علاج هذا المرض المكلف للغاية والذي مايزال الصندوق الوطني للتأمين على المرض مصرا على عدم ادراجه ضمن الأمراض الاستعجالية التي تحتاج الى التكفل رغم الوعود الشفوية سابقا بالنظر في الموضوع!!

*** وحيدة المي**

* لمياء الحكيم... أنوثة تتحدى الظلام

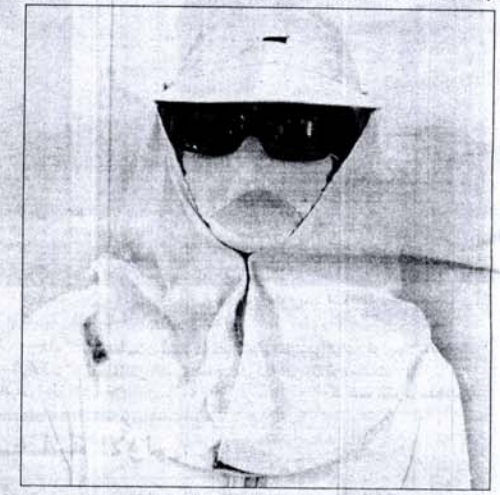

* لمياء باللباس الواقي من أشعة الشمس

تتقن العزف على العود ورياضة الكاراتي و«الظلام» ضاعف تفاؤلها

لا تخرج الى الشارع إلا بلباس مثل رواد الفضاء

متميّزة في الدراسة، لم تتغيب يوما وحلمها التخصص في المجال الصحي